

فرحة العيد... في بعدها الإنساني والاجتماعي



عيد الفطر لا يقتصر على البعد الديني، بل يكتمل المشهد في صبيحة يوم العيد، حيث يتجسّد البعد الاجتماعي والإنساني بين المسلمين. يلتقي المسلمون في يوم عيد الفطر بفرح وسعادة، فتخفق القلوب حبّاً لبعضها البعض، وتنطق الألسن بأجمل الدعوات بالخير والعافية وقبول الأعمال. فرحة العيد التي تعتبر جائزة لمن صام الشهر الكريم، وحصل رضا الله عزّ وجلّ، من خلال صيامه وقيامه والإخلاص في أعماله.

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال: «إنّما هو عيد لمن قَبِلَ الصيام، وشكر قيامه، وكلّ يوم لا يُعصَى فيه فهو يوم عيد»، فالعيد هو يوم فرح وسرور لمن صام شهر رمضان بإخلاص وتقوى. ولكي نفهم حقيقة العيد وأبعاده، قال الإمام عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) عندما سُئِلَ: لِمَ جُعِلَ يوم الفطر العيد؟ فقال (عليه السلام): «لأن يكون للمسلمين مجمعاً يجتمعون فيه، ويبرزون إلى الله عزّ وجلّ، فيحمدونه على ما مَنّ عليهم، فيكون يوم عيد ويوم اجتماع ويوم فطر ويوم زكاة ويوم رغبة ويوم تضرّع، ولأنّه أوّل يوم من السنة يحلّ فيه الأكل والشرب، لأنّ أوّل شهور السنة عند أهل الحقّ شهر رمضان، فأحبّ الله عزّ وجلّ أن يكون لهم في ذلك اليوم مجمع يحمدونه فيه ويقدّسونه».

ويأتي كلام الإمام الحسن (عليه السلام) أيضاً، ليبين عظمة يوم عيد الفطر. فعندما مرّ في يوم فطر يقوم يلعبون ويضحكون، وقف على رؤوسهم وقال: «إنّ الله جعل شهر رمضان مضمّاراً لخلقه، فيستيقنون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق قوم ففازوا، وقصّر آخرون فخابوا. فالعجب كلّ العجب، من ضاحك لآعب في اليوم الذي يُثاب فيه المحسنون، ويخسر فيه المبتطلون. وأيم الله، لو كُشِفَ الغطاء، لعلموا أنّ المُحسن مشغول بإحسانه، والمُسيء مشغول بإساءته»، ثمّ مضى.

العيد بالنسبة للمسلمين في غاية الأهميّة... فهو يحتلّ مساحةً وجدانيةً كبيرة في نفوسهم، يعيشون فيها معاني دينيّة وروحيّة عالية، تستمدّ قداستها من شهر رمضان المبارك، ذلك الزمن الاستثنائي. إنّ الصوم بما يتضمّنه من امتناع عن الطعام والشراب بحدّه الأدنى، يفرض على الصائم نوعاً من التعاطي المختلف عن بقيّة أيّام السنة، وهذا ما يجعل العيد يختزن الكثير من الفرح، ويجعل المسلم

يُعْبَدُ عَنْ سَعَادَتِهِ بِمَا قَدَّمَ مِنْ أَيَّامِ الصَّوْمِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ التَّعَاطِي مَعَ الْعِيدِ بِمَفْهُومِهِ الْأَصِيلِ، حَيْثُ إِنَّهُ مِنْ أَيَّامِ الْعِبَادَةِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ الطَّاعَةَ وَالْإِتِمَانُ مِنَ حَيْثُ الشَّكْلِ وَالْمَضْمُونِ.

إِنَّ عِيدَ الْفِطْرِ هُوَ عِيدٌ لِمَنْ شَعَرَ بِذِيَّةِ الطَّاعَةِ وَحُلَاوَتِهَا، وَالْقَرَبِ مِنَ الْإِيمَانِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ، وَلَا يَقْتَصِرُ الْأَمْرُ فَقَطْ عَلَى فَرَحِنَا بِالْإِفْطَارِ، رَغْمَ أَهْمِيَّةِ هَذِهِ الْفَرَجَةِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ؛ فَرَجَةٌ عِنْدَ إِفْطَارِهِ، وَفَرَجَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ»، وَكَلَامًا شَعَرْتُ بِرِضَا الْإِيمَانِ أَكْثَرَ، كَانَتْ فَرَحَتُكَ بِالْعِيدِ الْمُبَارَكِ أَكْبَرَ.

إِنَّ أَحَدَ أَهَمِّ الْأَبْعَادِ الَّتِي تَبْرُزُ فِي مَفْهُومِ الْعِيدِ، هُوَ الْبَعْدُ الْاجْتِمَاعِيُّ الَّذِي يَبْرُزُ جَلِيًّا مِنْ خِلَالِ الْأَنْشِطَةِ الْعِبَادِيَّةِ الْمُمَثِّلَةِ بِصَلَاةِ الْعِيدِ الَّتِي يَفْتَتِحُ فِيهَا الْمُسْلِمُ يَوْمَهُ بِاللِّقَاءِ الْمُبَاشَرِ مَعَ أَخَوَانِهِ، مِنْ أَقَارِبٍ وَأَصْدِقَاءٍ تَجْمَعُهُمْ بَاحَةُ الْمَسْجِدِ، يَتبادلون التَّهْنِائِي وَالذُّعَاءَ بِقَبُولِ الْأَعْمَالِ.

وَرِكَاءُ الْفِطْرِ هِيَ الْأُخْرَى تَحَقِّقُ الْأَبْعَادَ التَّكَاْفُلِيَّةَ الَّتِي يُبَادِرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى بِذْلِهَا صَبِيحَةَ يَوْمِ الْعِيدِ لِلْفِئَاتِ الْمُسْتَضْعَفَةِ وَالْفَقِيرَةِ مِنَ النَّاسِ، مِثْمَلَةً الْمَظَاهِرِ الْحَمِيمَةِ الْمُمْتَصِّةِ الَّتِي تَبْرُزُ مِنْ خِلَالِ عِلَاقَةِ الْأَفْرَادِ بِمَجْتَمَعِهِمْ.

إِنَّ الْعِيدَ كَيَوْمٍ قَدْ جُمِعَ إِلَيْهِ تَعَالَى فِيهِ مَا بَيْنَ الْعِبَادَةِ وَالْعَمَلِ، مِنْ خِلَالِ الْأَعْمَالِ الْعِبَادِيَّةِ الَّتِي لَهَا طَابَعُهَا الْاجْتِمَاعِيُّ التَّوَاصُلِيُّ، حَيْثُ يَسْعَى الْفَرْدُ إِلَيْهَا تَارَةً لِلتَّقَرُّبِ إِلَى الْإِلَهِ، وَتَارَةً لِلتَّعْبِيرِ عَنْ فَرَحِهِ بِمَا أَعَانَهُ إِلَهِهُ مِنَ الْقِيَامِ بِوَجِبٍ هُوَ مِنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى الْإِلَهِ تَعَالَى.

وَفِي الْخَتَامِ، كَلِمَاتُ الْإِمَامِ عَلِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): «كُلُّ يَوْمٍ لَا يُعْصَى إِلَهِ فِيهِ فَهُوَ عِيدٌ...» هَذِهِ الْكَلِمَاتُ تَجَسَّدَتْ خَطَّةً عَمَلًا يُمْكِنُ أَنْ نَنْتَهِجَهَا فِي كُلِّ حَيَاتِنَا، حَتَّى تَتَزَيَّنَ أَيَّامُنَا بِالْأَعْيَادِ وَالْفَرَحِ وَالسَّرُورِ.